



بسم الله الرحمن الرحيم



الحمدُ لله المتفرد بالوحدانية، المستتر بحجب الأنوار الجلالية، والصلاة والسلام على المولود بالعراسِ
المكيّة، سيدنا محمد درة الصدف⁽¹⁾ القرشية، وخلاصة العترة الهاشمية، وعلى آله المرتقين ذروة كل مرتبة
عليّة، وأصحابه الكرام الثلة المرضيّة.

أما بعد: فيبدأ تاريخ مكة منذ أن خلق الله الأرضَ ومن تحتها دحاهها، واختار سيدنا إسماعيل ► وذريته
لسكنائها، وأمر سيدنا إبراهيم ► فبنى كعبتها وأعلاها.

مكة المكرمة بلد الله الحرام، ومولد سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام، محطّ تنزّل رحمت
الله، وحرّم الخليل إبراهيم الأواه، وسكنُ إسماعيل وأُمّه هاجر، وإليها تهفو القلوب وترنو المحاجر، ويعذّب
قصدها في القرّ والهواجر.

فيها صدع سيدنا محمّد ► بدعوته، ودعا إلى ملته، وفيها قبلته المعظمة وقبيلته المفخمة.

إليها تشد الرحال، وفي بقاعها تستجاب الدعوات وتحقق الآمال، ثم لا يدخلها الطاعون ولا
الذجال. ما أساء إليها جبارٌ إلا هلك، وما عظّمها فقيرٌ إلا ملك. جعلها الله مركزاً للأرض، وجعل حجّها
من أوجب الفرض. إليها المسلمون في كل عام يحجون، وفي أرجائها يكبرون ويلبّون، وبكعبتها
يطوفون، ومن مائها المبارك زمزم يتظلعون، وعن الشوق إليها لا ينفكّون، فإذا اقتربوا منها احتضنتهم كالأم
الحنون فهم هائمون، فمن أركان كعبتها الحجر الأسود، الذي من قبله يهناً ويسعد، ومنها الركن
اليمني، الذي تُنال عنده الرغائب وتحقق الأمان.

(1) أو الصدف المحار واحده صدفه الليث الصدف غشاء خلق في البحر تضمه صدفتان مفروجتان عن لحم فيه روح يسمى المحارة وفي مثله يكون اللؤلؤ قال الجوهري
و صدف الدرة غشاؤها الواحدة صدفه. ابن منظور، لسان العرب ج: 9 ص: 188، ط1، دار صادر، بيروت.

ما دخلها خائفٌ إلا آمنَ، وما مات فيها مسلمٌ إلا ضمنَ، وفي حجوتها غاية البشرى، إنها أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى (رضي الله عنها) بها تعطّرت شعابُ مكة والحجون. عوامُ أهلها علماء، وعلماءُها فقهاء، وأئمتها على الخير أدلاء، وشبابها أتقياء.

ومنذ أن سلكتُ طريق العلم وأنا أتطلّع إلى خدمة البقاع المقدسة، وقد يسّر الله تعالى لي خدمة حرم رسوله ﷺ في مرحلة الماجستير، فقد كانت رسالتي بعنوان: المدينة المنورة في الفكر الإسلامي، فلما بلغت مرحلة الدكتوراه، وفكرتُ في اختيار موضوع لأطروحتها وجدتُ نفسي كلما نأيتُ هوى فؤادي إلى مكة المكرمة، فلم أجد ما يعبرُ عما يختلجُ في صدري سوى قول الشاعر:

أشجانُ قلبي بذاتِ النخلِ والحجرِ وأختها تلك ذاتِ الحجرِ والحجرِ
تعلّق القلبُ بين البلدينِ فلا أنفكُ من لهبِ الأشواقِ في سَعَرِ

وليست الخدمةُ لتلك البقاع الطاهرة مقصورةً على الإدارة والبناء والتعمير والتنظيف، وإنما تتعدى ذلك كله إلى كل ما يُسَطِّره الفكر، ومن هذا الباب وجدتُ الكثير مما يمكن أن أتعرضَ له بالدراسة المتأنية، المشفوعةً بالتحليل العميق، والتأمل الفكري الدقيق، فقد وجدتُ جوانب منها أهمل النظرُ فيها، وألفيتُ مسائل قد اتخذ فيها جانب التعسير، في وقتٍ نحن أشد ما نكون بحاجةٍ إلى التيسير، بل هناك جوانب قد أسيء فهمها وتوجيهها ولا سيما ما يخص الآثار الإسلامية، وتراثنا المجيد. ولم تكن الغاية من هذه الأطروحة عرض بعض المسائل الخلافية الجانبية، بل كانت الغاية تقريب وجهات النظر والتوفيق بين الآراء المختلفة رغبةً في الإصلاح وطلباً للصالح.

وقد اشتملت هذه الأطروحة على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وملخص باللغة الإنكليزية.

تضمن التمهيد بيان ماهية الفكر الإسلامي وأما بابا الأطروحة وفصولها فكانت الآتي:

– الباب الأول: مكة المكرمة بين مظان الشريعة الإسلامية وخضم الأحداث السياسية والحالة الجغرافية: وقد اشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: مكة المكرمة في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة.
- الفصل الثاني: الحالة السياسية والادارية أواخر العهد العثماني والعهد الهاشمي والعهد السعودي.
- الفصل الثالث: مكة المكرمة جغرافياً.
- الباب الثاني: النواحي العامة في مكة المكرمة: وقد اشتمل على فصلين:
- الفصل الأول: الحالة الفكرية والعلمية في مكة المكرمة.
- الفصل الثاني: الحالة الاجتماعية والعمرانية في مكة المكرمة.
- ثم الخاتمة وأهم النتائج.
- كما اشتملت الاطروحة على بعض الصور والخرائط موزعة على موضوعاتها.
- وقد تنوعت مصادر الاطروحة ومراجعها تنوعاً كبيراً، متمثلةً في أمهات الكتب، فمن كتب التفسير اعتمدتُ تفسير الطبري (ت: 310هـ)، وتفسير القرطبي (ت: 671هـ)، وتفسير روح البيان للبروسوي (ت: 1137هـ)، وروح المعاني للآلوسي (ت: 1270هـ).
- ومن كتب الحديث: صحيح البخاري (ت: 256هـ) وصحيح مسلم (ت: 261هـ) فضلاً عن كتب السنن والمسانيد والمعاجم، وشروحها.
- ومن كتب التاريخ: أخبار مكة للأزرقي، وأخبار مكة للفاكهي، وتاريخ مكة للسباعي، والتاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمحمد طاهر الكردي (ت: 1400هـ) وغيرها.
- وقد عثرت على دراستين قريبتَي العنوان من دراستي كلتيهما من تأليف عالم مكِّي، إحداهما بعنوان مكة في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ محمد عمر رفيع، والأخرى بعنوان: صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ عبد الله محمد أبكر، فانتفعت منهما، وإن كانتا بعيدتين من حيث المضمون عن دراستي.

ثم لا يخفى على القاصي والداني مدى الصعوبات والأهوال التي يريزُ تحت وطأتها شعبنا الصابر الصامد المحتسب، كما لا يخفى الاستهداف المستمر للعلم وأهله بسبب الانفلات الأمني وانعدام الأمان، فإذا أضفنا إلى ذلك كله المشاكل الاجتماعية والاقتصادية الخائقة وجدنا التركة كبيرةً، والحمل ثقيلاً.

كل ذلك فيما يخص الظروف المحيطة بالموضوع.

أمّا الموضوع ذاته فإنّ أبرز صعوباته تتمثل في قلة المصادر والمراجع الموجودة في بيئتي حوله، لا سيما إنه مقصورٌ على دراسة القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، إذ لم أحصل على كثيرٍ منها إلاّ بعد السفر إلى مكة المكرمة، أو الاستعانة بمن سافر إليها.

وقد كانت تلك الصعوبات داعياً لي غير مرةٍ إلى الاحجام عن الموضوع بسبب خشية عدم الاحاطة به، ولكنني قلت لنفسي: إنّ الأعمال لا تبدأ كبيرة قط وإذا ظللنا ننتظرُ أن لا نخطو إلا مستوفين شروط الكمال، فليس لهذا غير معنى واحد، هو إننا لا نخطو، ولكن حسبنا أننا قلنا كلمةً وخطونا خطوةً، فمهدنا الطريق لمن يأتي بعدنا كي يتم المشوار.

وحسبي من ذلك أنني حررتُ سطرًا في سفرها الكبير، ووضعتُ لبنةً في بنائها الشامخ، فلعلي أذكر في الذين خدموها، أو أنسب إلى الذين أحبوها، فأدرج مع من عظموها وتشرفوا بخدمتها.

ولست أدعي لهذه الدراسة بعد هذا الكمال، فإنّ للكمال أهله، وذا لا يخفى على كل ذي عينين وبصيرة، وختاماً أقول ما قال الشاعر:

شوقي إليكم مجملٌ ومفصلٌ
وجدٌ يؤرّقني وعهدٌ أولٌ

ياجيرتي بين الحجونِ إلى الصفا
أهوى دياركم ولي بربوعها

الباحث